

نفحات القرآن

[58] ا . وقد ذكر الكثير من المفسرين تفسيرات أخرى للآية ، ترتبط بصورة أساسية بالهدف من الخلق وإن كانت بعبارات مختلفة وتفسيرات متعددة ، حيث يقولون بأن المراد هو أن البشر لم يخلقوا دونما تكليف وأمر ونهي وثواب وعقاب ، ويعتبرونها نظير الآية (115) من سورة (المؤمنون) . (أـ فحسبتم أنـمـا خـلـقـنـا كـمـ عـبـثـاً) (1) . ولكن بملاحظة ذيل الآية يضمن هذا الإحتمال تماماً لأزّه تعالى يقول : (أمّ هُم الخالقون) ، وهذا التعبير يدل على أن الجملة الأولى ناظرة إلى سبب الخلقة وعلّة ظهور الإنسان لا الغاية من خلقه ، وبعبارة أخرى أن الآية تلاحظ العلّة الفاعلية لا الغائية . * * * الآية الثانية تتوجّه إلى خلق السماوات وتعيد إستدلال العلّة والمعلول هذا في مورد خلق السماوات والأرض وتقول : (أمّ خـلـقـنـا السـمـاوات والأرض) . ويعني هذا أن السماوات والأرض حادثة دون شك لتعرضها إلى الحوادث باستمرار وحدوث أنواع التغييرات عليها وكل شيء معرض للتغيير لا يمكن أن يكون أزمياً . في هذه الحالة يجري الحديث عن خالق السماوات والأرض فهل هي خلقت نفسها ؟ أو لا خالق لها أبداً وقد وجدت صدفة ؟ أم أن خالقها هو البشر ؟ وبما أن الإجابة عن هذه الأسئلة بالنفي ، يعلم أن لها خالقاً ليس مخلوقاً بل هو _____ 1 - تفسير مجمع البيان ، تفسير الفخر الرازي ، تفسير القرطبي ، تفسير الميزان ، تفسير روح المعاني وتفسير روح البيان ، حيث ذكروا هذا المعنى كمعنى رئيس في الآية أو كاحتمال .